أبو الحسن علي الحسني الندوي

مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج

دروس وعبر يجب أن نستفع بها

وفجوات وثغرات يجب أن تسد

ملتزم النشر و التوزيع
دار عرفات للترجمة ، والنشر و التوزيع
دارة الشيخ علم الله ، رائی بریلی (الهند)

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مستقبل الأمّة العربيّة الإسلاميّة بعد حرب الخليج

دروس وعبر يجب أن ننتفع بها

وفجوات وثغرات يجب أن تسدّ

ملتزم النشر و التوزيع
دار عرفات للترجمة ، والنشر و التوزيع
دارة الشيخ علم الله ، رائي بريلي (الهند)

١٤١١هـ

١٩٩١م

اهتم بالطبع
عتيق الرحمن الطيبي

المطبعة الندوية
مؤسسة الصحافة و النشر
لكهنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم و تعريف

بقلم الأستاذ واضح رشيد الندوى

رئيس تحرير صحيفة « الرائد »

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده محمد و على آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين و بعد !

فقد مرت الأمة الاسلامية من حيث المجموع خلال حوالى نصف قرن بمحن و شدائد ، و مآسى و فضائح جعلتها موضع اهتمام و قلق للعـــالم كلـه ، و موضع شماتة و غبطة لدى أعداء الاسلام والمسلمين ، و استنزفت هذه المحن و الشدائد طاقة المسلمين ، و أدت إلى تشردهم من أوطانهم ، وحولت المواطنين إلى غرباء فى بلاد غيرهم

يعيشون كلاجئين ترعى شئونهم الوكالات و البعثات العالمية الصليبية ، و آخرون يعيشون فى بلادهم فى رقابة شديدة حياة أشبه بالعبودية ، كما واجه المسلمون حرباً على تاريخهم و ثقافتهم و منهج حياتهم بالاضافة إلى الكوارث الطبيعية التى أصيب بها العالم الاسلامى ، كالمجاعة و الفيضانات ، و الزلازل والحوادث التى ترجع إلى ظروف طبيعية خاصة فزادت من شقائهم و بؤسهم .

كانت هذه الفترة التى تلت عهد حرية البلدان التى خضعت للاستعمار ، فترة تقدم و بناء بالنسبة لعدد من الدول فى العالم ، ظهرت فيها قوى جديدة ، و نشأت طاقات جديدة ، و حصل ارتقاء فى العلم و المدنية ، و استطاعت عدة دول حل مشاكلها المستعصية ، و انضمت دول إلى طائفة الدول الكبرى ، و بقى المسلمون رغم كونهم ثالث قوة باعتبار العدد ، و رغم انتماء أكثر من اربعين دولة فى العالم إلى الاسلام ، و عضويتها فى الأمم المتحدة ، غير قادرين على حل مسائلهم أنفسهم ، فضلا عن

فرض ارادتهم و خيارهم على العالم ، أو رفع صوت يسمع في العالم ، ويكون له دوى فى الأوساط السياسية فى العالم .

وآخر المحن التى أصيبت بها الأمة الاسلامية ، وندعو الله تعالى أن تكون هي الأخيرة ، هي حرب الخليج التى لا تقل من كارثة ، فقد كانت حرب العراق و إيران التى دامت ٨ سنوات قد أنهكت القوى ، و فعلت فعلها فى التدمير ، و التشريد ، و تبديد الطاقة الإسلاميـــة ، و قتل مآت الألوف من الشباب المسلم فى الطرفين ، وبدلا من أن تبدأ مرحلة البناء والتجديد ، و يوضع حد للجوء إلى قوة لحل المشاكل و النزاعات ، وتتخذ إجراءات جبارة لتوحيد شمل المسلمين . ثارت قضية جديدة كانت أسوأ نتيجة و أبشع فضيحة ، وأوسع تدميراً من الحرب الأولى ، و هي قضية الكويت و العراق و الاجراءات العسكرية و الاقتصادية ضد العراق و الثورات التى حدثت فى العراق .

لم تكن هذه الحرب بين بلدين مسلمين فحسب بل كانت بين بلدين مجاورين وعربيين ، و فرضت هذه الحرب

من قبل دولة ترفع نعرة القومية العربية . فكان العربى يقتل عربياً ، و العربى ينهب عربياً ، و كانت المأساة الكبرى أن السياسة الطائشة و الإجراءات المنهورة لدولة الاعتداء ، وتهديداتها المطلقة، جلبت تدخل القوى الكبرى فى القضية بتخويل من مجلس الأمن الأمم المتحدة من أجل إقرار السلام فى المنطقة فتوسعت دائرة التدمير و شقاء المواطنين فى المنطقة المنكوبة .

كانت هذه الفترة التى تقع فيها هذه الأحداث المؤلمة فى الساحة السياسية ، فترة الدعوة الاسلامية ، اقبلت فيها نفوس على دراسة الاسلام و دراسة حياة المسلمين ، وسمع العالم اعتناق علماء و فلاسفة كبار ، الاسلام بعد دراسته ، و نشأت فيها حركات ، و دعوات و منظمات للعمل الاسلامى لا يوجد لها نظير فى التاريخ الماضى و رفع إسم الاسلام فى المنابر العالمية ، فكانت هذه الأحداث المؤلمة تهدم ، و تتبر ما كان يبنيه البناة ، و تشوه الرأى الذى كان يبنيه الدعاة ، و يشعر بهذه النكسة فى سبيل العمل

الاسلامى كل من له إسهام فى الدعوة الاسلامية و كل من له اتصال بالأوساط غير الاسلامية .

فى الهند مثلا حركة قوية لرسالة الانسانية يقودها سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، وقد قطعت هذه الحركة أشواطاً بعيدة فى إيجاد الوئام و الانسجام بين المسلمين و غير المسلمين ، و عرف الاسلام من الناحية الخلقية ، و شوهد أخيراً فى عدد من المثقفين من غير المسلمين إقبال على دراسة الاسلام والالتقاء بالمسلمين ، و يدل على ذلك حضور عدد كبير منهم فى الاجتماعات التى يعقدها المسلمون . و انتشار الكتب الاسلامية المنقولة إلى اللغات المحلية ، وكانت هذه الأحداث الدامية و القلاقل فى العالم الاسلامى ، و انتهاك حقوق الانسان ، محولة لهم و مثيرة لأسئلة فى قلوبهم ، و يصادف العاملون فى مجال الدعوة هذه الأسئلة والشبهات كلما أقاموا صلة بغير المسلمين بعد هذه الأحداث ، و تثور هذه الشبهات كلما حدثت حادثة كبيرة فى أى جزء من العالم الاسلامى .

و يواجه العاملون فى مجال الدعوة فى أوربا بصفة خاصة و المسلمون بصفة عامة هذا الوضع الناتج عن رد فعل للأحداث فى العالم الاسلامى ، و وضع القلق فيه ، و قد غرست الأحداث فى الخليج أحقاداً جديدة فى قلوب غير المسلمين ، و ساءت علاقاتهم مع المسلمين وأصبحت الحياة فى أوربا ، وأميركا ، و أفريقيا ، ساخنة للمسلمين ، واستغلت المنظمات الصليبية هذه الأوضاع لتجديد حملتها ضد الاسلام و المسلمين .

إن المحن و الشدائد والنكسات تحدث فى حياة كل أمة فلا غرابة فيها ، و لكن المهم هو ما تثيره من ردود فعل فان المحن تحطم صلب أمم ، و تقضى عليهـــا وتزيد المحن صلابة الأمم و تزيد مناعتها ، و تحـــدث فيها انقلاباً ، و تخرجها من انقاضها ككيان جديد ، و يتوقف ذلك على موقف هذه الأمم ازاء محنها ورد فعلها ، ومعالجتها لظروفها وصلاحيتها للبناء والتجديد ، بعد البحث عن مواطن الضعف ، و مصدر البلاء ، و إن خير العلاج للامراض

هو إزالة أسباب المرض ، و تطهير البيئـــة ، إذا كانت موبوءة ، كذلك خـــير الدفاع عن أى كيان هو ملأ الثغرات و تحصين المكان منها ، و الأمم التى لا تعتبر ، و لا تحاسب النفس ، و لا يثور فيها رد الفعل للاحداث التى تصيبها ، لا تعيش بكرامة ، ولا تتقدم للبناء فتخرج من أزمة و تدخل فى أزمة جديدة .

لقد مرت الأمة الاسلامية فى تاريخها الطويل بمراحل حاسمة كان يخشى فيها إنها ستلفظ أنفاسها الأخيرة و تلحق بالأمم البائدة فانها كانت هدفاً دائمياً للغارات الصليبيـــة ، و وقفت أوربا بكاملها ضدها فى فترات أصابها الوهن ، و حققت أوربا انتصارات فى المراحل البدائية لكنها اندحرت فى النهايه لغلبة روح الجهاد و حب الموت فى القيادات الاسلامية ، فقد واجهت الأمة الاسلامية الغارة التتارية التى ازالت من النفوس هيبة المسلمين ، ثم واجهت الأمة الاسلامية غارات أوربا المتكررة ، كما و اجهت فرقا ضالة و محاولات التحريف فى الإسلام مدعمة من القوى

الصليبية واليهودية والمجوسية ، ولكن خرجت الأمة الاسلامية منتصرة من جميع هذه المحن مهما بلغت قوة الأعداء سعة و عنفاً و دقة تخطيط ، بفضل جهود أبطال الاسلام من العلمـــاء و الحكام المسلمين الذين قيضهم الله لحمل هذه المسئولية ، و قامت بعض المناطق فى العالم الاسلامى بدور رائد فى تأدية هذه الخدمة ، خدمة انقاذ الاسلام والمسلمين صد هجوم المعتدين ، فكانت مصر مثلا و ليس ذلك من المصادفة ، بل حادثاً متكرراً فى التاريخ ، فى مقدمـــة الدول التى وقفت لصد الهجوم ، و كسر أباطيل الخصوم ، و قد وصفت بجدارة بكنانة الاسلام ، إنها و اجهت الغارات الصليبية من أوربا القديمة و أوربا الجـــديدة ، و واجهت الغزو التتارى و كسرت شوكة التتار و غيرت مجرى التاريخ ، و كتبت تاريخاً جديداً ، و لعبت مصر هذا الدور فى القرون الأخيرة أيضاً فان معارك عين جالوت و حطين تشكل صفحات مجيدة ، و أياماً مشهورة من تاريخ مصر الإسلامية .

انعقد فى مصر فى أبريل ٢٥ - ٢٧ من ١٩٩١م مؤتمر حول أحـــداث الخليج و الدروس المستفادة منها

و وجهت الدعوة من وزارة الأوقاف و رئاسة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى جمهورية مصر ، إلى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى للإسهام فيه والافادة بدراساته و آرائه و توجيهاته ، فانتهز سماحته هذه الفرصة فكتب هذا المقال يذكر فيه مصر دورها التاريخى فى نصرة الأمة الاسلامية ، دور كنانة الاسلام ، و ناشدها أن تخرج من حصارها المفروض عليها ، وتقود العالم الاسلامى كما قادت فى الماضى ، واستعرض سماحته الظروف وعواقبها ، و اكتشف الثغرات و الفجوات فى الكيان الاسلامى ، و قام بتعيينها ، و شرح طرق معالجتها فى خلفية الأحداث التى مر بها العالم الاسلامى كله ، فان العالم العربى قلب للعالم الاسلامى ، و لا يحلو العيش إذا كان القلب متألماً ، فكيف يستقر العالم الاسلامى إذا كان العالم العربى و فيه الحرمان الشريفان ، و القبلة الأولى ، مضطرباً ، فليست مشكلة أى بلد عربى ، مشكلة عربية صرفة ، و إنما هى مشكلة إسلامية و مشكلة عالمية وحيث إن صلة المسلمين بالعالم العربى صلة شعورية و قلبية فالقضية

تصبح قضية شعورية و قلبية ، يضطرب بها كل مسلم فيه أضعف الايمان .

فاذا كان شعور المسلم العادى قد اضطرب بالاحداث المؤلمة ، فكيف يكون شعور داعية أحب العرب و اعتبر نفسه واحداً منهم ، و درس قضاياهم و عرفهم عن كثب ، و هو يعرف نتائج الأعمال و طبيعة التاريخ ، وله نظرة على تاريخ الأمم و الحضارات و له معرفة دقيقة بالواقع المؤلم ، و يتحرق قلبه .

لقد هزت الأحداث الأخيرة الكيان الاسلامى كله ، و أثرت على كل مجال من مجالات العمل الاسلامى ، و اضطربت لها القلوب ، وحملت على التفكير ، و البحث عن أسباب الكارثة ، ويفيد هذا البحث فى تعيين الثغرات و تحليل الأسباب الحقيقية ، و ترشيد قوة جديدة لحمل القيادة لاعادة البناء بسد هذه الثغرات بأسلوب علمى تحليلى من جانب ، وأدبى مؤثر من جانب آخر ، والله هو الموفق و هو يهدى السبيل .

واضح رشيد الندوى
ندوة العلماء لكهنؤ الهند
٥ من شوال ١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مستقبل الأمة العربية و الاسلامية
بعد حرب الخليج

دروس و عبر يجب أن ينتفع بها ،
و فجوات و ثغرات يجب أن تسد

الحمد لله وحده ، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده !

حضرات السادة :

إن هذا المؤتمر الذى موضوعه « مستقبل الأمة العربية و الإسلامية بعد حرب الخليج » قد جاء فى أوانه ومكانه .

أما الأوان فان هذه الحرب التى كانت نزوة طائشة أو نوبة عصبية قيادية حربية ، كثرت أمثلتها و نماذجها فى تاريخ القيادات الفردية ، و المطامح القيادية ، و التهورات الهجومية ، لا أكدر خاطركم و لا أعكر صفو هذا المجلس

المؤتمر الذى يضم نخبة من كبار العلماء و قادة الفكر ورجال السياسة و الادارة فى الأقطار العربية و الاسلامية ، بالتصريح بأسماء المسئولين عنها و تعيين زمانهم و مكانهم ، و لا يخلو - مع الأسف والاعتذار - عن هؤلاء المغامرين - و بالأصح المقامرين - تاريخ الاسلام المشرق الطويل الذى كان يتوقع أن يخلو عن مثل هذه الأمثال و النماذج غير اللائقة برسالة الاسلام و تعاليمه و أهدافه و مستواه الرفيع ، و لكن الطبيعة البشرية تعمل عملها - إذا جردت عن تربية عميقة قوية ، أو حسبة جماعية دينية ، أو ضمير مؤمن بخالق هذا الكون الذى هو «رب العالمين» و «أرحم الراحمين» و باليوم الآخر الذى يحاسب فيه كل إنسان - مهما سمت درجته ، و توسعت دائرة نفوذه و تصرفه - على أعماله و تصرفاته .

و الآن و قد انقشع هذا الضباب ، و انتهت هذه المرحلة التى لم تكن جديرة بالبقاء وقتاً طويلا ، لا دينياً و لا مبدئياً ، و لا عقلياً و واقعياً ، و عاد الأمر إلى

نصابه و الحق إلى أصحابه ، و لكنها - و الأسف يملأ جوانحى و يكاد يفتت كبدى ، كعامل فى مجال الدعوة الإسلامية وحركة «رسالة الإنسانية» لا سيما فى منطقة شديدة الحساسية دقيقة الوضع ، كشبه القارة الهندية التى كثرت و تكثر فيها الاضطرابات الطائفية والمذابح البشرية قد أساءت إلى سمعـــة الاسلام ، الدين الأكبر و الأشهر الذى يدعو إلى احترام الإنسانيـــة ، و صيانة النفوس و الكرامات ، و يؤمن بأن الله هو رب العالمين ، و نبيه - محمد عليه أفضل الصلاة و السلام - هو رحمة للعالمين ، إساءة لم يسبق لها مثيل منذ أمد بعيد ، أقول هذا بصفتى دارساً و مؤلفاً فى التاريخ ، و عاملا فى مجال حركة «رسالة الإنسانية» فى الهند ، التى حققت شيئاً كبيراً من النجـاح و تمتعت باحترام كبار المثقفين و قادة الرأى فى الأكثرية غير المسلمة و اعترافهم ، و امتازت ندواتها التى عقدتهـا قيادة هذه الحركة مع التعاون مع عدد من كبار المثقفين و الرجال المحترمين من الهنادك ، بنجاح باهر و إقبال كبير

من الشخصيات البارزة فى مختلف الطبقات ، و قد أحرج موقف العراق الاعتدائى والهجومى الذى هو شبيه بالقرصنة ، و اتسم بالتغاضى عن المشاركة فى الدين ، و الاعتداء الآثم على الأنفس و الأعراض ، فضلا عن الأملاك . ونكران الجميل ، و الهبوط إلى حضيض السفالة و المهانة ، فانتكست رؤوس المسلمين فى شبه القارة الهندية ، و تندى جبينهم حياءاً ، و كاد يعتقل لسانهم فى توجيه هــذه الدعوة إلى إخوانهم المواطنين ، فانهم إذا أشاروا إلى حرب الخليج و موقف القيادة العراقية من الكويت ، المد الاسلامى السلمى ، و الأكراد المسلمين الذين أنجبوا فى فترة من فترات التاريخ ، البطل الناصر لدين الله السلطان صلاح الدين الأيوبى ـ عليه رحمة الله ـ و قالوا : عليكم بالعناية بمركزكم الدينى و شعبكم النموذجى و توجيه دعوة احترام الانسانية إليه أولا ، لم يكن لنا جواب .

أقول أيها السادة : إن هذا الضباب و إن كان قد انقشع ، وأن هذه المرحلة المشؤمة و إن كانت قد انتهت ،

و لكنها تسترعى انتباه المفكرين و المعنيين بحاضر هـــذه الأمة و مستقبلها ، إلى حقائق قد تجلت فى هذه الآونة ، و فى ضوء هذه الكارثة ، بوضوح لم تتجل به فى الماضى القريب ، و دلت بل وضعت أصبع كل مسلم واع معنى بشأن هذه الأمة منتفع بالتجارب ، على فجوات بل ثغرات (GAPs) فى صفوف هذه الأمة - و أكبر خطورة من ذلك - على ثغرات فى تفكير كثير من طبقات هـذه الأمة بل فى دهمائها و خاصة فى شبابها ، والجيل الناشىء ، و فى الصحافة و وسائل الاعلام ، و كثير من المنظمات الاسلامية ، فلا بد من استعراضها - خصوصاً فى هذا المؤتمر الموقر - بجراءة خلقية ، وصراحة بيانية ، و احتساب محايد جرئ للنفس والاخوان فى الدين والوطن ، والله يقول : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين » (١) .

و قبل أن أتحدث عن هذه الحقائق غير السارة ،

---

(١) سورة النساء آية : ١٣٥ .

و الفجوات غير المشرقة فى حياة الأمة الاسلامية المعاصرة - بما فيها الشعوب العربية السلمية - ألقى بعض الأضواء على أن هذا المؤتمر الموقر كما جاء فى أوانه ، قد جاء فى مكانه ، فان الله قد قدر لمصر و اختارها لتقوم بالدور القيادى الحاسم ، و عملية الإسعاف و الإنقاذ للشرف الاسلامى و المقدسات الاسلامية فى ساعة عصيبة دقيقة حين « بلغت التراقى وقيل من راق » (١) و ذلك مرتين على الأقل ، و إلى السادة المؤتمرين إشارة إليهما .

المرحلة الأولى : حين هجمت أوربا النصرانية الصليبية بملوكها و قادتها العسكريين و مقاتليها المتحمسين ، - فى تصميم لا يوجد له نظير فى الماضى و لا فى الحاضر - و كانت تستهدف الجزيرة العربية ، و الحرمين الشريفين ، بالإستيلاء و محو أثر الاسلام منها ، و إهانة ما يفديه المسلمون بنفوسهم و دمائهم و كراماتهم ، و أكتفى فى بيان هذا الهجوم و ما نشأ منه من الخطر على العالم العربى

---

(١) سورة القيامة آية : ٢٦ .

الاسلامى ، بشهادة واحدة لصاحب اختصاص فى هـــذا الموضوع من المؤلفين الغربيين ، و هو ستينلى لين بول (tanley Lane Poole) صاحب كتاب صلاح الدين يقول فى كتابه :

«توغل الجيش الصليبى فى البلاد كما يشق أحد خشباً منخوراً بالياً ، وخيل للناس ولو لبرهة من الزمان ، أن الصليبيين سوف يحطمون جذع دوحة الاسلام ويكسرونها تكسيراً» .

هنالك قضى الله - و هو الرحيم الغلاب - بأن يكون شرف استعادة القدس الشريف و القبلة الأولى التى دامت عليها سيطرة الصليبيين تسعين (٩٠) سنة ، للإسلام و المسلمين ، للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، و ذلك فى رجب عام ٥٨٣هـ (١١٨٧م) .

و قد كان صلاح الدين قائد الملك العادل نور الدين الزنكى و حاكم مصر من قبله ، فاقترن اسم مصر بهـــذا الفتح العظيم و المأثرة الكبرى ، و رجع الفضل فى هذه المأثرة إلى قيادة مصر التى تركزت فى شخصية صلاح الدين

ولا بد أنه استطاع ذلك ـ بحول الله ـ عن طرق الجيش المصرى الباسل المسلم، يقول اين بول :

« إن سيطرة قائد نور الدين ـ سلطان الشام ـ (صلاح الدين) على النيل ، قد جعلت دولة القدس الصليبية بين شق العصا . فكانت تحت وطأة شديدة من ذلك ، ولم يكن الذى يضغطها من كلا الجانبين إلا جيش انفس القوة ، وبفضل استيلائهم على مرفأ دمياط والاسكندرية ، أخذوا أسطولا بحرياً ، فقطعوا صلة الصليبيين المصريين بأوربا » (١) .

وقد كان السلطان صلاح الدين بنفسه يعترف بأن لمصر نصيباً فى هذه المأثرة فقال مرة : « إن الله لما أعطانى مصر ، حسبت أنه قدر لى فلسطين أيضاً » (٢) .

والمرحلة الثانية هى هجوم التتر الوحوش على العالم الاسلامى فى القرن السابع الهجرى ، وكانت محنة هزت

---

(١) السلطان صلاح الدين ص : ٨٩ .

(٢) أيضاً ص ١٨٦ .

العـالم الاسلامى هزاً عنيفاً و تركت المسلمين مشدوهين ، و استولى الرعب و الخوف على العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، و غلب على الناس اليأس و التشاؤم فكانوا يعتبرون التتار بلاءاً سماوياً ومقاومتهم مستحيلة ، وانهزامهم فوق القياس ، حتى ساد المثـل « إذا قيل لك إن التتر انهزموا ، فلا تصدق » (١) .

و فى هذه المرحلة الدقيقة التى كادت تفوق أوفاقت حقيقة مرحلة الزحف الصليبى ، أحجم الملوك والحكومات و القيادات الاسلامية عن مقاومة التتار ، و اعتبروا استيلاءهم قضاءاً مبرماً و عقوبة من الله ، هنالك قامت مصر مرة ثانية بإحراز قصب السبق فى مقاومة التتار ، و استطاع حاكمها الملك المظفر سيف الدين قطز و جيشه المصرى العربى المسلم ، أن يبطل هذا القياس و القضية المسلمة ، يقول المؤرخون :

كان التتار متوجهين نحو مصر بعد الشام بحكم

(١) ليرجع للتفصيل إلى الكامل لابن الأثير ج ١٢ .

الطبيعة ، وكانت مصر وحدها التى لم تصبها ويلات التتار ، و قد كان ملك مصر الملك المظفر سيف الدين قطز قد تفرس أن التتار يزحفون إلى مصر بعد الشام ، و عند ذلك يصعب التخلص من وطأتهم : فرأى أن يخرج من مصر بالجنود و يشن عليهم الهجوم فى نفس الشام ، حتى وقعت الحرب بين عساكر مصر الاسلامية والتتار فى عين جالوت يوم ٢٥/ من رمضان سنة ٦٥٨هـ ، و انهزم التتار شر هزيمة بخلاف ما سبق لهم من الحروب ، فخرجوا منها هاربين ، و تعاقبتهم الجنود المصرية فقتلوهم و أسروا منهم عدداً كبيراً ، يقول العلامة السيوطى فى كتابه « تاريخ الخلفاء » :

« فهزم التتار شر هزيمة ، و انتصر المسلمون و لله الحمد ، وقتل من التتار مقتلة عظيمة و ولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم و ينهبونهم » (١)

و هزمهم الملك الظاهر بيبرس ، بعد انهزامهم فى عين جالوت مرات عديدة ، وأخرجهم من أرض الشام ،

(١) تاريخ الخلفاء ص ٤٢٥ .

و طردهم منها ، حتى بطل المثل السائر ، إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق » .

و فى ضوء هذين المثالين الرائعين الذين يحق لمصر أن تفتخر بهما و تحمد الله على توفيقه ونصره ، واختياره لهـــا للقيام بالواجب المقدس الخطير ، يتحتم على مصر الاسلامية أن تقوم بأداء فريضة اليوم و تحقيق مطالبه ، و أن تستخرج سهماً — بناءاً إيجابياً قيادياً — من كنانتها ، وقد سميت قديماً بكنانة الاسلام ، وكنانة الاسلام لا تنفد سهامها ، و لا تخطئ مرامها ، والسهم المطلوب فى هـــذه الساعة الدقيقـــة هو الانتباه للحقائق التى تجلت بعد الغزو العراقى للكويت و تصرفات الرئيس صدام حسين الطائشة الراعنة ، و ما كان لها من رد الفعل فى الشعوب العربية و الاسلامية ، وما كشفت عن فجوات و ثغرات فى تفكير الأمة ، و منظماتها و صحافتها و إعلامها .

و الآن آن لى أن أتحدث عن الحقائق و الفجوات و الثغرات التى كشفت عنها الازمـــة الخليجية الأخيرة ،

و ان أشير إلى طريق علاجها ، وملء هـذه الفجوات و الثغرات فى صفوف الأمة ، و تفكيرهـا و صحافتها ، و إعلامها ، و بتعبير أوسع و أوضح ، فى حياة الأمة ، وتأمين هذه الأمة من عواقبها السيئة ، و نتائجها الوخيمة ، التى تحدث عنها القرآن و السنة و شهد بها التاريخ الانسانى العام .

و إلى المستمعين الكرام بعض النقاط الهامة :

أريد أن أتحدث إلى بعض فجوات و ثغرات شديدة الخطر ، بعيدة الأثر فى حاضر الأمة و مستقبلها و ألفت نظر قادة الفكر و المتملكين لزمام التوجيه و التربيـة و الصحافـة و الإعلام ، و العاملين فى مجال الدعوة و « الصحوة الاسلامية » إلى معالجتها و العناية بها .

١ـ التهيؤ الدائم و القوى للانخداع بهتافات ـ حماسية بصفة خاصة ـ و دعاوى خلابة و وعود براقة ، من غير نظر إلى عقيدة أصحابهـا ، و استعراض ماضيهم ، و الأحزاب و المخططات السياسية و الفكرية التى يرتبطون

بها ارتباطاً وثيقاً ، خصوصاً إذا اقترنت هـــذه الهتافات أو الاعلانات بتحد أو تهديد لطاقة من الطاقات الكبيرة ، و تظاهر أصحابهـا بالجراءة و الصمود ، أحدثت فى الدهماء — خصوصاً الشباب — انفعالا شديداً شبه اهتياج عاطفى لا سبيل إلى كبحه (Hysteria) لا يفيد فيه النقد الدينى و العلمى ، و استعراض الواقع و الحقائق الأمين المحايد ، و أنتجت ثورة بمثابة زوبعة فى فنجان أوغلى كغلى المرجل ، و قد يؤدى ذلك إلى استهانة بالدين و عقائده و شعائره — فضلا عن إهانة ممثليها و أصحاب الاختصاص فيهـا — ولا أبلغ فى وصف هذه الفئة و تصويرها من كلمة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى اكتوى بهذه النار و واجه هذا الوضع أكثر من كثير من أئمـــة الاسلام وقادته ، إذ قال فى وصف أهل العراق « اتباع كل ناعق » .

فلابد من إيجاد الوعى الدينى و المدنى فى الشعوب الإسلامية ، حتى فى الطبقات المتدينة المثقفة ، وقوة التميز بين الصالح والطالح ، و الدعوة إلى فهم القضايا المعاصرة ،

و الحركات و التيارات العامـــلة النشيطة ، و المنابع التى تستقى منها فكرها وعقيدتها ، وتستمد منها نشاطها وحماسها ، و فى بعض الأحيان إمكانياتها المادية و السياسية .

و لابد من الدعوة إلى فهـــم القضايا المعاصرة ، و الحركات و التيارات العاملة النشيطة و موقفها من الاسلام و أثرها فى الحياة ، وخطرها على مستقبل هذا الدين ، و الجيل الاسلامى و الاطلاع عـــلى أهداف القيادات التى تريد أن تسيطر على هذه البلاد و البيئات ، و تتسلم زمام توجيه المجتمع وفق عقائدها و قيمها ومثلها ، وسبك الحياة سبكاً جديداً ، فان التغاضى عن هذه القوات و الطاقات ، و الحركات و القيادات ، و انطواء الجماعات الاسلامية على نفسها ، معتمدة على تمسكها بالدين و الدعوة إليه ، و الاشتغال بالفرائض و الواجبات الدينية ، و حياة الطهر و العفاف ، و العبادات و الطاعات ، يحول بعد مدة من الزمن بينها و بين حرية العمل بالدين و تطبيق أحكام الشريعة ، و يضيق الخناق حولها حتى ينطبق عليهم قوله

تعالى : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم » (١) .

و بقاء هذا التهيؤ للانخداع بالهتافات و الدعاوى ، و المظاهرات و التمثيلات ، خطر كبير دائم على هذه الأمة ، و ارتباطها بعقيدتها و رسالتها و دورها فى توجيه الانسانية و الوصاية عليها ، بل على بقائها على الشريعة السماوية و الدين الذى ختم به الأديان و الرسالات ، و كذلك يحبط مساعى المصلحين و المجددين و المجاهدين و الشهداء المخلصين المتفانين . من العصر الأول إلى هذا العصر ، و يفتح المجال فى هذه الأمة و فى بلادها العريقة فى الاسلام لقبول مبداء المجتمع الغربى المسيحى :

« إن الدين قضية شخصية ، و قضية بين الفرد و الخالق ، لا شأن له بالحياة و التشريع و السياسة » :

٢ـ و من قبيل الانصاف ، و التحليل النفسى لأصحاب هذا الاندفاع المتهور إلى الهتافات و المظاهرات المتحدية

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٨ .

التمثيلية — و إن لم يكن ذلك مبرراً لوجود هذا الاندفاع إلى حـــد التقديس — أن من أسبابه عدم وجود قيادة قوية جريئة إن لم أقل بطولية قلت جهادية نضالية ، معتمدة بعقيدتها ومركزها القيادى فى العالم ، مستغنية إلى حد ممكن عن الاعتماد على الطاقات الغربية أو الشرقيـــة الكبرى ، التى لم تزل تمثل دور إحباط الجهود الاسلامية و الحركات الدينية القوية الواسعة الآفاق ، و حرمان هذه البلاد من شخصيات قيادية عملاقة يسيطر عليهم التفكير الدينى و تطبيق الشريعة فى بلادها و العمل لمجـــد الاسلام و إنهاض المسلمين ، بمؤامرات داخلية و خارجية أفقدت هذه البلاد خيرة قادتها و زعمائها فى العصر القريب ، والناس ما زالوا مفطورين على إجلال العزة و روح المخاطرة — و المغامرة أحياناً — لأن الإجلال لشىء لا يجده الانسان عنده ، شىء طبيعى . ولأن تاريخ الاسلام ملىء بالبطولات والمغامرات ، و قـــد سئم أصحاب الضمائر الحية وضاقوا ذرعاً بسياسة الحكومات و القيادات الرخوة الضعيفة المستسلمة .

و من الحقائق أن عدداً كبيراً من المسلمين ـ خصوصاً الشباب ـ مطلع على هذه المؤامرات ، ممتعض من أصحابها حانق لهم .

فلا بد إذن من الاهتمام بوجود قيادة قوية جريئة مؤمنة عاقلة مكتفية بما أنعم الله به على بلادها من ثروات و طاقات ، معنية بالزيادة فيهـــا ، و بالتكنالوجية ، و الصناعات و القوى الحربية ، مستغنية عن هذه الطاقات الأجنبية — إلى حد ممكن — فى الاعتماد و الاستيراد ، تستطيع باعتمادها على القوة الايمانية و إخلاص شعوبها ، و تفانيهـا فى سبيل العقيدة و الدفاع عن الاسلام ، أن تحتج ضد عدوان أو مؤامرة ضد مصلحة إسلامية أو قيادة صالحة أو محاولة نفوذ أو تدخل فى قضايا هذه البلاد .

٣ــ العناية بوجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية فى البلاد — و معرفة فضلها و قدرها حق قدرها إن كانت موجودة ، بدلا من التخوف منها ومحاولة القضاء عليها — تقترن هـــذه الحركة بصفات الرجولة و الطموح ، وعلو

الهمة ، و بعد النظر ، و القدرة عـلى مواجهة الطاقات الرئيسية القائدة التى تملكت زمام قيادة البشرية ، وأصبحت تتحكم فى مصائر الشعوب و الأقطار الاسلاميـة و غير الاسلامية ، من غير حق و مبرر .

ومن المعلوم الثابت أن الشعوب الإسلامية — على علاتها و بعض مواضع الضعف فيها التى تحدثنا عن بعضها — لا تزال تمتاز بين شعوب العـالم — بما فيها الشعوب الغربية و الشرقية — بالايمان بالله و اليوم الآخر و الإستهانة بالحياة واللذات فى سبيل الجهاد فى سبيل الله ، والحنين إلى الشهادة ، والشوق إلى الجنة ، ونيل رضا الله ، و تصديق ما وعد الله عليه من الأجر و الثواب ، و بذل النفس و النفيس فيه ، إذا ندر لها الداعى المخلص القوى ، المثير فيها الحماس الاسلامى و المشعل لشعلة الايمان ، كما شوهد حتى فى الماضى القريب بفضل القـادة المخلصين الربانيين (١) و قد أشار القرآن الكريم إلى هـذه الميزة

---

(١) كالامام السيد احمد بن عرفان الشهيد شهيد بالاكوت

التى يمتاز بها المسلمون عن غيرهم من الشجعان و الأبطال الماديين من الشعوب و الديانات التى انقطعت صلتها عن الرسالة السماوية و المنابع الايمانية بقوله : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، و ترجون من الله مالا يرجون » (١) .

و هذه ثروة لا تعدلها ثروة ، وطاقة لا تساويها طاقة ، فمن الجناية على هذه البلاد و الشعوب الاسلامية — بل على القيادات و الحكومات التى تحكم هذه البلاد و الشعوب — الاشفاق منها و اعتبارها الخطر الأكبر لمستقبل هذه القيادات و الحكومات ، و المنافس الخطير فى مجال الحكم و الادارة ، إلى أن يؤدى ذلك إلى تجنيد الطاقات و تركيز القوى و الوسائل — بما فيها الصحافة

(١٢٤٦هـ) و سيدى أحمد الشريف السنوسى فى طرابلس (م ١٣٥١هـ) و الأمير عبد القادر الجزائرى (١٣٠١هـ) و غيرهم .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٤ .

و وسائل الاعلام ، و نظام التربية — على القضاء عليها و التخلص من أثرها ونفوذها، فيكون جهاداً فى غير جهاد ، و حرباً على أعز أبناء هذه الأمة و البلاد و أنفعهم عند الحاجة إذا جد الجد .

و معلوم أن هذه الشعوب الإسلامية تتميز كذلك بالإخلاص إذا وجدت محله ، و ناداها أحد باسم الله ، و باسم الاسلام ، فتلبي هذا النداء بحماس و تفان قلما يوجد نظيره فى هذا الزمان، فمن الجناية على نفس القيادات و الحكومات و التعامى عن الحقائق وعدم الانتفاع بهذه الثروة والطاقة ، بذل كل طاقة وذكاء و وسائل فى القضاء عليها و التخلص منها .

٤— الإسلام هو قومية العالم العربى و محمد ﷺ هو روح العالم العربى و إمامه و قائده ، و الإيمان هو قوة العالم العربى ، التى حارب بها العالم البشرى كله فانتصر عليه و هو قوته و سلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعدائه ، و يحفظ كيانه .

و العالم العربي – كما يقول شاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال: « لا وجود ولا اعتبار له بالحدود و الثغور، إنما وجوده و اعتباره بالانتماء إلى محمد العربي ﷺ، وهو الذي أبرزه إلى الوجود ككائن متميز و حقيقة ثابتة »

فلابد من تسليم هذه الحقيقة و احتضانها و التحمس لها، بدل القوميات، و الوطنيات، وهي الرابطة الوحيدة التي تربط الأقطار و الشعوب العربية بالعالم الاسلامي و أقطاره الغربية و الشرقية، و تجعلها تحدب عليها و تتقرب إلى الله بحبها، و الدفاع عنها، و الاستماتة في سبيلها، و هي الحقيقة الوحيدة التي تمنحها مكانة مرموقة، وقيمة مشرفة، وحساباً خاصاً عند الشعوب والأقطار الغربية غير الاسلامية.

٥– الابتعاد – بحد الامكان – من حياة الترف و الدعة، و الاعتداد الزائد بالكماليات و فضول الحياة، و الإسراف و التبذير، و الإستهانة بمال الله في سبيل اللذة و الشهوة، و الفخر و الزينة و الابتعاد إلى حد ممكن من كل ما لا يرضاه الله و رسوله من أعمال

و أخلاق و يحول بينه و بين نصر الله و تأييده ، و قد تماسك العرب الأولون — المسلمون — و احتفظوا بشخصيتهم الاسلامية العربية ، و البساطة و الاقتصاد ، و حياة التقشف و الفروسية ، مقابل الحضارتين الرومية و الفارسية اللتين بلغتا الغاية فى التأنق و التوسع ، والحياة المصطنعة ، و إن كان لا بد فيستعان بـ « تمـدين » هذه المدنيـة ، و إخضاعها للمبادىء و الغايات التى أكرم الله بها هذه الأمة عن طريق الاسلام ، و إخضاع هـذه الحضارة و ما لا بد منـه فى مسايرة العصر للشخصية الإسلامية .

و قد دل التاريخ بوضوح على أن كل أمة أو جيل أصيب بالترف و البطر ، و البـذخ الزائد و التمرغ فى النعيم ، و فشت فيها عادات جاهلية ، و ظهرت منكرات خلقية ، أصبح فريسة لهجوم وحشى و غزو أجنبى « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا »(١) .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٨ .

كان ذلك شأن المجتمع الاسلامى — بصفة عامة — فى القرن السابع الهجرى عند غارة التتر الوحشية التى كانت كابادة جماعية نسلية و دينية ، و نكتفى هنا بشهادة لمؤرخ كبير (١) يصف المجتمع المسلم العائش فى بغداد قبل الغزو التتارى ، وهى صورة لا تختلف عنها صور العواصم الأخرى ، و المدن الاسلامية الراقية فى ذلك القرن .

« مرفهون بلين المهاد ، ساكنون على شط بغداد ، فى ظل ثخين ، وماء معين ، و فاكهة و شراب ، واجتماع أحباب و أصحاب ، ما كابدوا حرباً ، ولا دافعوا طعناً ولا ضرباً » (٢) .

وهى حكاية عن المجتمعات و الشعوب الاسلامية و الحكومات الواسعة الراقية فى تاريخ المسلمين الطويل ، وقد لقيت نفس النتيجة ، على تفاوت فى العنف و الشدة ،

---

(١) هو المفتى قطب الدين النهروالى المكى ، فى كتابه « الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » .

(٢) الاعلام ص ١٨٠ .

و الطول و السعة حسب قامات هذه المجتمعات و الحكومات و قيمتها (١) .

٦- تأليف جمعية شعوب و حكومات عربية إسلامية تحل محل جمعية الامم المتحدة (United Nations) للاشراف على متطلبات الأقطار و الحكومات الاسلامية - و في مقدمتها و على رأسها الأقطار العربية الاسلامية - السياسية الدولية ، و الدفاعية ، و تقوية معنوياتها و حريتها و شرفها ، و تتولى الدفاع عن بلد صغير يهاجمه بلد كبير ، يستعان بها و يرجع إليها في ذلك ، بدل جمعية الأمم المتحدة أو طاقة من الطاقات الكبرى ، و تملك من الحول و الطول و نفاذ الكلمة و الاحترام المتبادل ما يمكنها من رد الغارة و العدوان على بلد إسلامي ، و تحسب لها الطاقات الكبرى حساباً ، و ترهبها القوى العدوانية ، و القيادات المستبدة الأنانية .

---

(١) راجع للتفصيل تاريخ الحكومة المغولية في الهند ، و الخوارزمية في تركستان و إيران .

و يكون فى مقدمة واجبات هذه الجمعية ، الدفاع عن الحرمين الشريفين و الحجاز ، بصفة خاصة ، و الجزيرة العربية بصفة عامة ، إذ هى معقل الإسلام و رأس مال الدعوة الاسلامية ، و يرتبط بها شرف المسلمين أينما كانوا ، و متى كانوا ، يقول الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس و الشهر الحرام » (١) فدل ذلك على أن نظام العالم مرتبط فى باطن أمره ببيت الله الحرام ، كما أن نظام العقائد و الأعمال و الأخلاق مرتبط بالدعوة التى أسس لها هذا البيت ، فيجب أن يكون المسلمون فى كل بقعة من بقاع العالم أصحاب غيرة شديدة ، و حساسية زائدة فى شأن مركز الاسلام و مهبط الوحى ، ومطلع الصبح الصادق الجديد للإنسانية ، و يكون المسلمون من ضفاف النيل إلى أرض كاشغر — كما يقول الدكتور محمد إقبال — جيشاً حارساً للحرم ، و رجلا واحداً فى الدفاع عنه و الإستماتة فى سبيله .

و أخيراً لا آخراً كلمة لولاة الأمور ، و المسئولين عن الأقطار و الحكومات الاسلامية و العربية .

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٧ .

أن أنفع شئ و أجداه ، أيها السادة ، فى ضوء القرآن و السنة و تاريخ الدعوات و القيادات و التطورات و الانقلابات ، هو الصدق مع الله و الإنابة إليه ، و تغيير ما يمكن تغييره فى حياة الفرد و المجتمع ، و تطبيق ما يمكن تطبيقه فى حياتهما من الإصلاحات و إزالة المنكرات ، وما يبعد من رحمة الله و يحول دون نصرته ، من تناقضات أو تساهلات فى الأطار الفردى و الاجتماعى و الادارى و السياسى ، و القرآن شاهد على ذلك ، و فى السنة الصحيحة و الأسوة النبوية ، و سيرة الخلفاء الراشدين و الملوك الصالحين ، نماذج من ذلك لا تحتاج إلى تفصيل و تعيين أسماء و حوادث ، وهو أكبر مؤثر و جالب لرحمة الله تعالى ، ومغير لمصير الأمم و المجتمعات . عند الأزمات ، لا يعادله شئ آخر من الأسباب العادية و الطاقات العسكرية ، و حماية الحكومات الكبيرة و موازرتها .

و الله الموفق و المعين

أبو الحسن على الحسنى الندوى

٢٧ من رمضان سنة ١٤١١هـ

أكبر خطر على العالم العربي

المؤامرات والمخططات الدقيقة العميقة

لقطع صلة العرب بالاسلام

استعراض ، تاريخي ، و تنبيه ، و إنذار ،

سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

أمين ندوة العلماء العام ، لكهنؤ (الهند

ملتزم النشر و التوزيع

دار عرفات للترجمة ، والنشر و التوزيع

دارة الشيخ علم الله ، رائي بريلي (الهند)

السيد ابو الحسن علي الحسني الندوي

حاجة العالم

إلى

مجتمع إسلامي مثالي أفضل

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء ، ص . ب : ١١٩ لكناؤ ، الهند

المطبعة الندوية
مؤسسة الصحافة و النشر
لكهنؤ (الهند)